تلك المسائل التى تعتبرها فى العادة مَحْلُولَةً قد فُرِغَ من أمرها . حقا إن الفكر هو أولا وبالذات موضوع دراسة كل من علم المنطق وعلم النفس ، ولكن من المؤكد — فيما يقول مانهايم — أنه لا سبيل إلى فهم الفكر حَقَّ الفهم ، اللهمَّ إلَّا إذا نظرنا إليه من وجهة نظر اجتماعية ولهذا فإن علماء الاجتماع يريدون أن يحلوا مشكلة المعرفة عن طريق دراسة سوسيولوجية للفكر البشرى ، لكى يكشفوا لنا عن الحتمية الاجتماعية التى تخضع لها كل معرفة إنسانية . وهم إذا كانوا يسايرون ماركس فى الالتجاء إلى « التحليل الإيديولوجى » لمذاهب الفكر ، فذلك لأنهم حريصون على تأكيد أولوية « العامل الاجتماعى » فى تحديد الاتجاهات الذهنية الغالبة على كل مجتمع . ولكنهم لا يمضون مع ماركس إلى حدّ القول بأن الطبقة البروليتارية هى وحدها التى تملك تلك القدرة السحرية على فضح الإيديولوجيات ، بل هم يقررون — على العكس من ذلك — أن لكل وضع تاريخى حقيقته الخاصة ، وأنه ليس ثمة طبقة اجتماعية واحدة تحتكر لنفسها المعنى الكلىّ لأية حقبة تاريخية بعينها .

وهكذا أصبح السلاح الإيديولوجى سلاحاً عامًّا تستعين به سائر الطبقات فى صراعها ضدَّ غيرها من الطبقات ، بعد أنْ كان المفكرون الاشتراكيون يظنون أنهم هم وحدهم الذين يملكون ميزة إرجاع التفكير البورجوازى إلى أسس إيديولوجية ، وبالتالى حق الانتقاص من قدره والطعن فيه . ولم يلبث التطوُّر الاجتماعىّ والفكرىّ أن وسعَّ من رقعة الخلاف بين الإيديولوجيات المتصارعة ، فأصبحنا نشهد هذا السلاح الاجتماعىّ الخطير فى يد سائر الطبقات تذود به عن نفسها ، وتطعن به خصومها ، وتُشْهِرهُ فى وجه كل من تحدّثه نفسه بالحط من شأنها . وتبعاً لذلك فقد اضطر الباحثون الاجتماعيّون إلى الاعتراف بأن الفكر الإنسانى ينطوى على حقيقة جزئية ضمنية فى كل مرحلة من مراحل تطوره ، وأنه ليس ثمة طبقة اجتماعية بعينها تحتكر لنفسها الدلالة الكلية الشاملة للصيرورة الكونية العامة .

٦٤ — فإذا ما دققنا النظر الآن فى مفهوم « الايديولوجيا » ، ألفينا أن كارل مانهايم على حق حينما يفرّق بين نوعين من الايديولوجيا : إيديولوجيا جزئية خاصة ، وأخرى كلية عامة . والنوع الأول منهما يشير إلى ذلك الموقف الشكىّ أو الارتيابى الذى نقفه من أفكار خصمنا أو تصوراته ، حينما ننظر إلى هذه الأفكار أو تلك التصورات على أنها مجرد تغطية شعورية (بدرجات متفاوتة) لطبيعة الموقف الحقيقية ، نظراً لأن الاعتراف بحقيقة الموقف لا يتلاءم مع مصالح الشخص المشار إليه . ومعنى هذا أن المفهوم الجزئى للايديولوجيا يقتضى تفسير موقف الخصم بالرجوع إلى عامل

تلك المسائل التى تعتبرها فى العادة مَحْلُولَةً قد فُرِغَ من أمرها . حقا إن الفكر هو أولا وبالذات موضوع دراسة كل من علم المنطق وعلم النفس ، ولكن من المؤكد — فيما يقول مانهايم — أنه لا سبيل إلى فهم الفكر حَقَّ الفهم ، اللهمَّ إلَّا إذا نظرنا إليه من وجهة نظر اجتماعية ولهذا فإن علماء الاجتماع يريدون أن يحلوا مشكلة المعرفة عن طريق دراسة سوسيولوجية للفكر البشرى ، لكى يكشفوا لنا عن الحتمية الاجتماعية التى تخضع لها كل معرفة إنسانية . وهم إذا كانوا يسايرون ماركس فى الالتجاء إلى « التحليل الإيديولوجى » لمذاهب الفكر ، فذلك لأنهم حريصون على تأكيد أولوية « العامل الاجتماعى » فى تحديد الاتجاهات الذهنية الغالبة على كل مجتمع . ولكنهم لا يمضون مع ماركس إلى حدّ القول بأن الطبقة البروليتارية هى وحدها التى تملك تلك القدرة السحرية على فضح الإيديولوجيات ، بل هم يقررون — على العكس من ذلك — أن لكل وضع تاريخى حقيقته الخاصة ، وأنه ليس ثمة طبقة اجتماعية واحدة تحتكر لنفسها المعنى الكلىّ لأية حقبة تاريخية بعينها .

وهكذا أصبح السلاح الإيديولوجى سلاحاً عامًّا تستعين به سائر الطبقات فى صراعها ضدَّ غيرها من الطبقات ، بعد أنْ كان المفكرون الاشتراكيون يظنون أنهم هم وحدهم الذين يملكون ميزة إرجاع التفكير البورجوازى إلى أسس إيديولوجية ، وبالتالى حق الانتقاص من قدره والطعن فيه . ولم يلبث التطوُّر الاجتماعىّ والفكرىّ أن وسعَّ من رقعة الخلاف بين الإيديولوجيات المتصارعة ، فأصبحنا نشهد هذا السلاح الاجتماعىّ الخطير فى يد سائر الطبقات تذود به عن نفسها ، وتطعن به خصومها ، وتُشْهِرهُ فى وجه كل من تحدّثه نفسه بالحط من شأنها . وتبعاً لذلك فقد اضطر الباحثون الاجتماعيّون إلى الاعتراف بأن الفكر الإنسانى ينطوى على حقيقة جزئية ضمنية فى كل مرحلة من مراحل تطوره ، وأنه ليس ثمة طبقة اجتماعية بعينها تحتكر لنفسها الدلالة الكلية الشاملة للصيرورة الكونية العامة .

٦٤ — فإذا ما دققنا النظر الآن فى مفهوم « الايديولوجيا » ، ألفينا أن كارل مانهايم على حق حينما يفرّق بين نوعين من الايديولوجيا : إيديولوجيا جزئية خاصة ، وأخرى كلية عامة . والنوع الأول منهما يشير إلى ذلك الموقف الشكىّ أو الارتيابى الذى نقفه من أفكار خصمنا أو تصوراته ، حينما ننظر إلى هذه الأفكار أو تلك التصورات على أنها مجرد تغطية شعورية (بدرجات متفاوتة) لطبيعة الموقف الحقيقية ، نظراً لأن الاعتراف بحقيقة الموقف لا يتلاءم مع مصالح الشخص المشار إليه . ومعنى هذا أن المفهوم الجزئى للايديولوجيا يقتضى تفسير موقف الخصم بالرجوع إلى عامل